بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الأماجد، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وصحبه تسليمًا كثيرًا مزيدًا.

أما بعد...

ففي محاضرات النسائم الإيمانية والقيم الأخلاقية أقف معكم اليوم وقفة مع قاعدة مهمة وعقيدةٍ عظيمة ومبدأ إيماني جليل؛ ألا وهي معرفة الله ﷻ، وأن تكون معه سبحانه وتعالى، وأن تكون على شرعه حتى يكون هو معك؛ فإنه من عرف الله ﷻ كانت هذه المعرفة نورٌ عظيم يجلي الظلم، وينكشف بها جميع الغم والحزن.

من عرف الله حق معرفته أحبّه ورجاه، ومن أحبه انقشعت عن قلبه سحائب الظلمات، وانكشفت عن قلبه الهموم والغموم والأحزان، بل وعوضه الله سبحانه وتعالى عمارة القلب بالسرور والأفراح، وأصبح هذا القلب قلبًا سعيدًا مطمئنًا ساكنًا راضيًا بقضاء الله وقدره.

وتأملوا معي -حفظكم الله- آية نحفظها جميعنا؛ يقول الله سبحانه وتعالى في هجرة النبي ﷺ مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه لما دخلوا الغار، قال: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التَّوبَة: ٤٠].

هنا أحبتي لابد أن نقف وقفة مهمة مع مسألة معية الله سبحانه وتعالى لخلقه؛ ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التَّوبَة: ٤٠].

معية الله ﷻ في القرآن:

معية خاصة.ومعية عامة.المعية العامة تشمل جميع الخلق؛ مؤمن، وكافر، وبر، وفاجر.

ومعناها: إحاطة الله سبحانه وتعالى بخلقه علمًا، فلا يخفى سبحانه وتعالى عليه شيء؛ من أقوالنا، من ولا أفعالنا،

ولا من تصرفاتنا، ولا من نياتنا، كل ذلك الله يعلمه.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ﴾ [المجادلة:٧].

النجوى: الكلام بصوت منخفض في السر.

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ لاحظ ما بعد الآية: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المُجَادلَة: 7]. ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ﴾ بجميع أعمالهم، ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[المُجَادلَة: 7].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحَدِيد: ٧].

هذه المعية العامة لا بد أن تورث في قلب الإنسان مراقبةَ الله سبحانه وتعالى؛ فيراقب الإنسان ربَّه في جميع تصرفاته، ومن كان كذلك سيكون بإذن الله سبحانه وتعالى في حفظ الله وعونه كما سيأتي في مسألة المعية الخاصة.

إذا راقب الإنسان ربَّه، وعمل بشرع الله سبحانه وتعالى، وكان حيث أراده الله سبحانه وتعالى، لا يراه الله سبحانه وتعالى إلا على عمل خير، على قول طيب، ويبتعد عن كل سوء ومعصية وشر سيورث ذلك في قلبه حياة، فإن أناسًا لم يكن في قلبهم معرفة الله أو مراقبة الله خَفُتَ ذلك في قلوبهم، فأورث ذلك لهم الخسارة في الدنيا والآخرة.

قال الله سبحانه عن هؤلاء الذين يجادلون ويختانون أنفسهم؛ يعني يخونونها بالمعاصي في السر، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ

مُحِيطًا﴾ [النِّسَاء: ١٠٨].

تأملوا حفظكم الله؛ ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ هم يختانون أنفسهم، يخونونها بالمعاصي حيث أن مراقبة الله سبحانه وتعالى في قلوبهم قد ضعفت، والله سبحانه وتعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ لاحظ تكملة الآية: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النِّسَاء: ١٠٨].

هناك بعض الناس فعلًا هو يخون نفسه قبل أن يخون غيره، هو يخون نفسه بالمعاصي، أضر نفسه بالمعاصي، إذا خلا بمحارم الله انتهكها، إذا أغشى الليل عليه ستوره لم يراع الله، وكان الله سبحانه وتعالى أهون الناظرين إليه، ووقع فيما وقع فيه من المعاصي.

وهذا أصل سببه: عدم مراقبة الله سبحانه وتعالى.

أيضًا أخبر الله سبحانه وتعالى عن قوم يستترون بالمعاصي، كانوا يستترون بالمعاصي لظنهم أن الله سبحانه وتعالى لا يعلم كثيرًا مما يخفون، ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ﴾ لاحظ الآية: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [فُصِّلَت: ٢٢]؛ هذا الظن أن الله لا يعلم كثيرًا مما يعملون أرداهم، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [فُصِّلَت: ٢٣].إذا قام الإنسان بشرع الله ودينه وعمل بطاعته، قد ينتقل من المعية العامة إلى المعية الخاصة.

والمعية خاصة معية مقيدة بالوصف أو مقيدة بشخص.

مثال ذلك، قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل : 122]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 122].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العَنكَبُوت: ٦٩] .وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[البَقَرَة: ١٩٤]

هذه المعية تقتضي النصر، والتأييد، والحفظ، والعناية، والكلاءة، والرعاية، والمحبة، والتوفيق، والكفاية، والسداد، والهداية من الله سبحانه وتعالى لمن قام بتلك الأوصاف؛ من التقوى، والصبر، والإحسان، وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

وقد ضرب الله سبحانه وتعالى لنا القصص لمن كان متقيًا لله، حافظًا لشرع الله؛ كيف كان الله سبحانه وتعالى معه؟ وهذه هي المعية المقيدة لشخص معين.

نرجع إلى آيتنا الأولى: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التَّوبَة: ٤٠].

أي إنّ الله ناصرنا، وحافظنا، راعٍ لنا، وقد كان الغارُ ضيقًا، كما قال أبو بكر ﷺ: «لو نظرَ أحدهم أسفل قدميه لأبصرنا»، لكن الحافظ هو الله سبحانه وتعالى.

وفي قصة موسى لما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه :46].

لاحظ هذه المعية الخاصة؛ الله سبحانه وتعالى معهما؛ مع موسى وهارون، يسمع ويرى؛ فهو معهم ويسمع كلامهم، ويرى ما يفعلون، فهو حافظ ومؤيد وناصر لهم ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: 44-43].لاحظ: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾ [طه: ٤٥]، جبار سيعذبهم ويفرط وويطغى عليهم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه :46]، اقرن هذه مع قوله: ﴿لَا تَحۡزَنۡ﴾ [التَّوبَة: ٤٠]. فسينتج ذلك في قلبك أنك لا تخف؛ إذا كنت مع

الله سبحانه وتعالى ،وإذا كان الله معك فمعك كل شيء.

لكن الخيبة والخسارة إذا لم يكن الله سبحانه وتعالى معك، فيسكون ضدك كل شيء، وسيكون الإنسان من أضعف ما يكون، والله سبحانه وتعالى أيد موسى وهارون من طغيان فرعون مع قوة فرعون وضعفهما لكن من كان مع القوي فهو قوي ولا أقوى من الله، لاحظ نربط بأول قصة موسى لما رمته أمه في البحر وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ [القَصَص: 7] تأييد من الله سبحانه وتعالى، وهنا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: 46]، ولما لحق فرعون موسى وظن أنه مدرك فأصبح البحر أمامه وفرعون من خلفه، فقال القوم: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: 61]، ماذا قال موسى؟ ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشُّعَرَاء: 62].

فالمعية هنا حفظٌ من الله سبحانه وتعالى وتأييدٌ ونصرة، وهو يثق بوعد الله سبحانه وتعالى؛ أنه سبحانه وتعالى معهما، وهو كذلك جلَّ في علاه؛ لا يُخَيِّبُ ظن عباده فيه، فهو معهم سبحانه وتعالى؛ ففلق الله سبحانه وتعالى لموسى البحر.

فلا تحزن، ولا تخف، ولا تيأس، ولا تقنط إذا كان الله سبحانه وتعالى معك.

لكن السؤال المهم:

كيف يُحصِّل الإنسان معيّة الله سبحانه وتعالى بحيث يكون الله سبحانه وتعالى معه؟

باختصار: أن يكون في المكان الذي يرضاه الله، أن يكون من المحسنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النَّحل: 128].

فعلى الإنسان أن يكون: متقيًا لله، فاعلًا للطاعات، تاركًا للمحرمات، محسنًا في عبادته لله، محسنًا مع خلق الله

سبحانه وتعالى.

كذلك على العبد أن يكون صابرًا حتى يكون الله معه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46].

أيضًا من المقامات العظيمة التي تحقق لنا معية الله تحقيق توحيد الله ﷻ.

وتأملوا في قصة ذا النون قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

انظر هنا التأييد والنصر والحفظ والكلاءة من الله سبحانه وتعالى ليونس عليه السلام وهو في بطن الحوت في تلك الظلمة، في سجن مخوف مع ذلك لما كان في قلبه تحقيق توحيد الله سبحانه وتعالى واعترافه بتقصيره، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

أود أن أختم معكم هنا مسألة المعية بحديث عظيم؛ قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ، فَإِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ ...، وَزَكَّى عَبْدٌ نَفْسَهُ» فَقَالَ رَجُلٌ: وَمَا تَزْكِيَةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

سؤال مهم:

كيف يزكي الإنسان نفسه؟

لاحظ العبارة المختصرة والكلمة الجامعة من رسول الله ﷺ قَالَ: «يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ[1]».

إذا أردت زكاة نفسك، إذا أردت صلاح قلبك، إذا أردت

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٠٢٦).

صلاح أعمالك وأقوالك؛ اعلم أن الله معك حيث تكون، وهذا من أعظم ما يقوي الطمأنينة في القلب، ويقوي مراقبة الله سبحانه وتعالى.

فمتى حظي العبد بمعية الله الخاصة؛ تأمل متى حظي العبد بمعية الله الخاصة هانت عليه جميع المشاق وجميع المتاعب، وانقلب الخوف في حقه أمنًا، فالله يُهون عليه كل صعب، ويُسهّل عليه كل عسر، ويُقرب منه كل بعيد، ويُزيل سبحانه وتعالى عنه كل هم، ويَجلي عنه كل حزن وغم.

فالمقام أحبتي عظيم، ونحن في الحقيقة محتاجون له غاية الحاجة؛ من منا لا يمر به في يومه وليله شيء يُحزنه ومتاعب تضايقه، وهموم أو غموم أو شيء من المحن التي هي موجودة في الدنيا، لا يكاد الإنسان ينفك منها.

إنما الحزن كل الحزن لمن فاته الله سبحانه وتعالى، فمن حصَّل الله وكان الله معه فلن يحزن على أي شيء فات.

فالحزن الحقيقي ألا يكون الله سبحانه وتعالى مع العبد، والحرمان الحقيقي ألا يكون الإنسان معه الله ﷻ، من كان معه الله فمعه كل أحد، ومن لم يكن معه الله تسلَّط عليه كل أحد.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظنا بحفظه، وأن يسدد خطانا وخطاكم، وأن يبارك في أعمالنا وأعمالكم.

وأسأله سبحانه وتعالى أن يحفظ بلادنا، ومجتمعاتنا وأهلينا وأسرنا، وأبنائنا، وأسأل الله سبحانه وتعالىأن يُعجل برفع هذا الوباء عن البلاد.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

سلسلة مطويات شبكة بينونة

كن مع الله

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE
لمزيد من المطويات